## المحور الثاني: الأسس القاعدية للكتابة الدرامية

### المحاضرة الثالثة: الفكرة أو المقدمة المنطقية

يرى بعض المنظرين * أن الفكرة هي الهدف العام والجانب الفكري للمسرحية، وهي تلك الآراء ووجهات النظر والأحاسيس المعبر عنها من قبل الشخصيات بأفعالها وأقوالها، ويرى آخرون أنها الحس الكوني الشمولي الذي يمكن أن يجعل الناس متشابهين مجازيا وحتى متماثلين في الكشف مباشرة عن الحالات المتناثرة في أهدافهم[i]. وتبقى الفكرة محل عدة تفسيرات بين منظري المسرح، حيث يرى البعض أنها "مشروع أو موضوع بحث أو أطروحة وفكرة جذرية أو فكرة أساسية" [ii]، والفكرة هي المقدمة المنطقية لأنها تشتمل على جميع عناصر العرض.

وهذه الفكرة التي يضعها الكاتب المسرحي، هي التي يستخلصها فريق العمل المسرحي كي تتحول من فكرة في المسرحية إلى رسالة نبيلة تخدم المجتمع والحياة، لهذا لا بد أن تكون لكل مسرحية جيدة فكرة أساسية، واضحة المعالم. ومهما كثرت الطرق لصياغة الفكرة، ومهما اختلفت الصياغات فإن الفكرة ستبقى واحدة[iii]، وهي الجانب العقلي والمنطقي للنص المسرحي، وما يمكن التأكيد عليه هو أن جميع عناصر العمل الدرامي - من شخصيات وحوار وصراع وغيرها- تعمل من أجل تجسيد فكرة معينة، "وأي موضوع سواء كان قديم التطرق أم كان من ابتداع الشاعر نفسه، فإن عليه أولا أن يحدد الفكرة العامة وبعد هذا فقط، يؤلف الأحداث الفرعية ويبسطها" [iv]. فللفكرة إذن، هي الدعامة الارتكازية التي يستند عليها الكاتب في صناعة المسرحية ويكشف بها الخيوط، ويرسم من خلالها الهدف العام، وبمعنى آخر هي عصارة اللعبة المسرحية ودعامتها[v].

كما تحمل الفكرة في ثناياها أفكارا جزئية تغذيها وتتغذى بها، إلى أن تصل إلى هدفها في النهاية ، فللفكرة الجيدة هي التي توحي للمتلقي بالشخصيات ومواقفها والصراع القائم بينها، كما لابد أن توحي لنا بالنهاية الحتمية والمبررة[vi].

إن الفكرة أو الهدف الأعلى الذي يبنى عليه النص الدرامي، هو مدار هموم العصر في مجتمع الكاتب، وهو المعركة الفكرية التي خاضها الكتاب عبر العصور في مجتمعاتهم، وهو الذي يعطي مسرحياتهم قيمتها الأدبية، "ومن الضروري أن يكون للمسرحية فكرة أساسية، مترابطة الأجزاء تعبر عن معنى في ذهن المؤلف يريد أن ينقله لمشاهديه، ومما لا شك فيه أن لكل إنسان طريقته الخاصة وفلسفته في معالجة الأمور، لأن المسألة فيها وجهة نظر ولكل إنسان وجهة نظره الخاصة التي تدفعه لمعالجة موضوع ما"[vii]، فالفكرة بوصفها أحد أهم العناصر المكونة للدراما، أي "إنها القدرة على قول الأشياء الممكنة والمناسبة..."[viii]. وبالتالي، هي التي تبين قدرة الكاتب على الخوض في موضوع معين بصورة درامية تبين للمتلقي بصورة واضحة ما يريد قوله المؤلف. إذ تتكون الدراما من أساسيتين اثنتين هما المضمون والشكل، ويعتبر المضمون هو الشبه بين المسرحيات وحلقة الربط بين التقنية والفنية والتي يتخذ بهما المضمون شكلا معينا، أي أن الفكرة هي ذلك المضمون الذي يختلف شكله بين الفنانين عن طريق الصنعة المسرحية والمتكونة من مجموع العناصر كالفعل والشخصيات والصراع عن طريق المحاكاة،

وعليه، فإن الفكرة هي جوهر المسرحية ولبها، وعلى الكاتب أن يعي ما يطرحه من أفكار إن على مستوى النص أو على مستوى التجسيد، وعليه أن يحدد ويعرف جيدا ماذا يريد أن يقول ولماذا؟ والفكرة تعمق الحكاية والحكاية توضح الفكرة وبذلك يقوم الموضوع بمهمته في خلق المسرحية، وهذه هي الحالة التي يتشابك فيها الموضوع بالحكاية أي علاقة الشكل بالمضمون.

يفضل لايوس إيجري أن يسميها المقدمة المنطقية، لأنها تشتمل على جميع العناصر التي تحول كل هذه الكلمات إلى تصور به معاني هذه الكلمة، ولأنها أقل عرضة لسوء التأويل ولقد كان (فردند برونتير) يطالب كتاب المسرحيات بأن يبنوا الهدف الذي يرمون إليه من مسرحياتهم وأن يجعلوا الهدف نقطة البداية وهذه هي المقدمة المنطقية [ix]، وترتبط المقدمة المنطقية التي أشار إليها لايوس إيجري بأسلوب الكتابة فهو يعتقد أن جوهر الفكرة لأية مسرحية لابد أن يبرر من خلال المشهد الافتتاحي؛ حيث تتضح فيها طبيعة الصراع والشخصيات.

وإلى جانب هذا ، توجد تعريفات أخرى ، أين تعتبر الفكرة الأساسية في المسرحية هي بداية العمل فيها، أو إن المسرحية تفتقر أن يكون لها موضوع والذي يقصد به المقدمة المنطقية أو الفكرة. ويذهب البعض في تفسير مصطلح الفكرة إلى القو ل أنها تلك المقدمة المنطقية التي على الموضوع أن يحدد مسار الحكاية فيها عن طريق أفعال ومواقف الشخصيات[x].

تتفق هذه التعريفات على أن الفكرة تدل على الهدف المراد تحقيقه عبر شكل الموضوع، فهي الجانب العقلي والانفعالي للمسرحية، هذه الأخيرة مهما كان مستواها لا تخلو من آراء ووجهات نظر وعواطف متعارضة تفصح عنها أفعال الشخصيات على شكل أزمات مولدة للصراع وكلها تهدف إلى تأكيد الفكرة، فالشخصيات والحوار والصراع ما هي إلا عناصر تجسد الجانب المحسوس لفكرة المسرحية، التي تصبح بهذا المعني سابقة لكل أجزاء العمل المسرحي الأخرى ، وهذا ما يؤكده أرسطو في قوله: "سواء أكان الموضوع قديما طرقه آخرون أم كان عن ابتداع الشاعر نفسه فإن عليه أولا أن يحدد الفكرة العامة وبعد هذا فقط يؤلف الأحداث الفرعية ويبسطها "[xi].

لاشك أن الأدب بشكل عام والمسرح بشكل خاص ليس حوادث تعد للتمثيل فقط، بل هو عمل يؤدي رسالة، فهو ينقل للناس الحقائق عن المجتمع والحياة التي يعيشونها ، فإن لم يقل شيئا كان هو والعدم

سواء، لذلك "لابد لكل مسرحية جيدة من فكرة أساسية واضحة المعالم سليمة التكوين ومن الممكن أن يكون هناك أكثر من طريقة واحدة لصياغة هذه الفكرة ، إلا أنه مهما اختلفت الصياغة فإن الفكرة ستبقى واحدة "[xii].

وتعد أيضا نسيجا مركبا من مجموعة أفكار جزئية والتي تقترن اقترانا مباشرا مع مكونات الفعل الذي يهدف إلى وحدة المواضيع، والتي يفترض أن تتوفر في العمل الجيد كي تغدي الفكرة الرئيسية التي تتجمع حولها الأحداث والمواقف ، "فعمل الكاتب هو أن يأخذ المادة ثم يتبين ما فيها من إمكانيات ثم يرفق فيها الحياة الضرورية، والتي تثير الاستجابة الضرورية لدى المتفرجين"[xiii].

ويرى لايوس إيجري أن كل فكرة جيدة لابد أن تتألف من ثلاث أجزاء لا غنى عن كل منها في المسرحية الجيدة، "الجزء الأول يوحي إلينا بالشخصيات وبأخلاق الشخص المقصود ، أما الجزء الثاني فهو يوحي بالصراع، أما الجزء الثالث فيوحي لنا بالنهاية" [xiv]، وهذا ما يتناسب مع رأي أرسطو حول أجزاء الفعل الدرامي المتكون من بداية ووسط ونهاية ، والتي تترابط فياع بينها ترابطا منطقيا في إطار وحدة الفعل، الذي بدوره يحافظ على وحدة الفكرة الأساسية عن طريق لغة الحوار.

تعني الفكرة إذاً حسب أرسطو، القدرة على التعبير باللفظ وينبغي لها أن تتوفر على العناصر التالية:

**أ. الوضوح:** وهو التعبير عن الهدف العام للمسرحية بلغة سليمة وموجزة دون تكلف أو اصطناع، فبوضوح الفكرة نلفت انتباه المشاهد ، فلا نغرقه في متاهات الكلمات، و يحير في فك شفرات الألفاظ وينسى المغزى والهدف من الفكرة المسرحية وأحداثها[xv].

**ب. التفنيد:** هو قدرة الشخصية - على طول خط المسرحية - على رفض الأفكار المقابلة بما يقوي مواقفها أمام موقف مضاد ، يجعلها تضعف ذلك الموقف وتنتصر لفكرتها الأولية بشرط السببية المقنعة[xvi].

**ج.القدرة على إثارة الأحاسيس:** إن هدف الدراما الرئيسي هو القدرة على لفت العواطف، كالخوف والغضب والشفقة، ويكون ذلك من جدية الفعل وأخلاقياته[xvii].

**د. الإسهاب والإيجاز:** وهو الاختيار الصحيح للغة المعبر بها عن الأفكار، ولا يتأتى ذلك إلى عن طريق الحوار الموجز والمقتضب المباشر الذي يتطلب الاسترسال في الكلام دون حشو، وهذا لا يعني الاختصار في الحوار إلى درجة الإبهام وعدم الفهم، ولا الإطناب إلى غاية الملل.

تدل التعريفات السابقة وغيرها على أن الفكرة هي الجانب العقلي والمنطقي والأهم لأي عمل درامي، ويأتي التأكيد على ذلك من خلال تفاعل مجوع العناصر الدرامية فيما بينها من أحداث وشخصيات وصراع تحت فكرة واحدة، الأمر الذي يجعل منها المنطلق الأول لكل نص مسرحي، فالفكرة من هذه الزاوية تعمل على تقديم موضوع المسرحية "والموضوع سواء كان قديم التطرق أو كان من ابتداع الشاعر نفسه، فإن عليه أولا أن يحدد الفكرة العامة وبعد هذا فقط، يؤلف الأحداث الفرعية ويبسطها" [xviii]، كون تحديد الفكرة يساعد المؤلف على الخوض في عمله الإبداعي بصورة واعية تجعله يركب الأحداث الفرعية تركيبا منطقيا يخدم الحدث الرئيس.

---

* أمثال لايوس إيجري، شكري عياد وإبراهيم حمادة.

[i] - ينظر، لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية، ترجمة دريني خشبة، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، ص43.

[ii] - م ن، ص 45.

[iii] - ينظر، م ن، ص54.

[iv] - أرسطو، فن الشعر، تر: شكري عياد، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، 1976، ص49.

[v] - ينظر، فؤاد الصالحي، علم المسرحية وفن كتابتها، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، ط 1، 2001، ص78.

[vi] - ينظر، لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية، م س، ص58.

[vii] - إبراهيم حمادة، معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، دار الشعب، القاهرة، 1977، ص121.

[viii] - أرسطو، فن الشعر، تر: شكري عياد، م س، ص54.

[ix] - ينظر لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية، م س، ص45.

[x] - ينظر لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية م س ، 47/46.

[xi] - أرسطو فن الشعر تر: شكري عياد، م س، ص49.

[xii] - لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية، م س، ص 54.

[xiii] - روجرم بسفليد، فن الكاتب المسرحي، تر: دريني خشبة، مكتبة النهضة، مصر، 1964، ص83.

[xiv] - لايوس إيجري، فن كتابة المسرحية، م س، ص 58.

[xv] - ينظر، محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، م س، ص 39.

xvi- محمد حمدي إبراهيم، نظرية الدراما الإغريقية، م س، ص32.

xvii- ينظر أرسطو، فن الشعر، تر: إبراهيم حمادة، م س، 102

[xviii] - أرسطو، فن الشعر، تر: شكري عياد، م س،ص 49.